في كفّ القدر.. صمتٌ وحديث

نور عيساوي

تصميم منار محمد

نسمات الأدب

في كف القدر

همسٌ وحديث

نور عيساوي

نسمات الأدب
للنشر الالكتروني

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : في كف القدر صمت وحديث

المؤلف: نور عيساوي

غلاف الكتاب: منار محمد

موك اب الكتاب: عزة كمال

تنسيق داخلي: سمر حمدان

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أنت:

قد تظن أن الحياة أسقطتك، لكنها في الحقيقة كانت تعيد تشكيلك... قد تظن أن الأبواب أوصدت، لكنها كانت تهيئك لعبور أوسع الممرات... فبعض الطرق لا تُفتح إلا حين نصلها في الوقت المناسب، وبعض الأحلام لا تزهر إلا بعد أن نكون مستعدين لحمل ثمارها. هذا ليس كتابًا عابرًا، بل مرآة قد ترى فيها انعكاس رحلتك... فهل أنت مستعد للغوص بين السطور؟"

الإهداء:

إلى نفسي أولًا...

تلك التي عاشت العثرات، وبكت في صمت، لكنها نهضت في كل مرة أقوى، وأعمق، وأكثر يقينًا بأن الله لا يخذل من توكل عليه. إليكِ يا من ظننتِ أن الحلم بعيد، ثم رأيتِه يتحقق أمامك بفضل الله.

إليكِ يا من تعلمتِ أن الألم ليس نهاية، بل ولادة جديدة لقلب أكثر صلابة، وروح أكثر إيمانًا.

إلى كل روحٍ أنهكها التيه، ثم وجدت طريقها بين يدي الله

إلى الذين ظنّوا أن الألم أبدي، حتى أشرق النور في قلوبهم من جديد...

إلـــى كـــل مـــن ســـقط، فـــنهض، وخســـر، فصـــبر، وتـــألم، فوجـــد العـــوض فـــي كـــرم الله...

إلـــى الـــذين مـــا زالـــوا يبحثـــون عـــن معنـــى، ومـــا زالـــت أرواحهـــم تهمـــس بأســـئلة لا إجابة لها إلا في طمأنينة اليقين...

إلـــى الحيـــاة، التـــي رغـــم كـــل شـــيء، علمتنـــي كيـــف أُحبهـــا دون أن أنســـى أن القلـــب لا يطمئن إلا بالله.

إلـــيكم جميعًـــا، أهـــدي هـــذه الصـــفحات... لعلهـــا تكـــون بريـــق أمـــل، ونـــورًا يرشـــدكم حين تشتد العتمة.

المقدمة:

كم مرة وقفت أمام الحياة، تحاول فك رموزها، تتساءل عن حكمتها، وتبحث عن إجابة لكل ما يؤلمك؟ كم مرة ظننت أنها تلهو بك، تقلب موازينك دون سابق إنذار، ثم بعد حين، أدركت أنها كانت تخط لك طريقًا لم تره حينها؟

الحياة ليست مجرد أيام تتعاقب، ولا مجرد أحداث تحدث، بل رسالة متجددة تُخفي بين طياتها دروسًا لا يفهمها إلا من أرهقه البحث عن المعنى. أحيانًا، تمنحك أكثر مما تستحق، وأحيانًا تأخذ منك دون مقدمات، تضعك في اختباراتها القاسية، ثم تفاجئك بعطايا لم تتوقعها. وبين كل تلك المنح والمحن، تهمس لك:

أنـــا لســـت ضـــدك، أنـــا فقـــط أعلمـــك كيـــف تعيش!

فـــي هـــذا الكتـــاب، قـــررت أن أفـــتح حـــديثًا معهـــا، أن أســـألها عـــن كـــل شـــيء، عـــن الأحـــلام التـــي تنكســـر ثـــم تعـــود لتزهـــر، عـــن القلـــوب التـــي تحتـــرق بـــالألم ثـــم تنيـــر مـــن جديـــد، عـــن الصـــبر الـــذي يبـــدو ثقـــيلًا لكنـــه يحمـــل فـــي طياتـــه أجمـــل الأقـــدار. ســـأحاورها عـــن أولئـــك الـــذين تمســـكوا بـــالله حـــين ظنـــوا أنهم سيسقطون، فرفعهم بألطافه الخفية.

هـــذا لـــيس كتابًـــا عـــن المصـــادفات، ولا عـــن الحظـــوظ، بـــل هـــو رحلـــة بـــين ســـطور الحيـــاة نفســـها. رحلـــة نبحـــث فيهـــا عـــن النـــور فـــي أوقـــات العتمـــة، عـــن الأمـــل حـــين يخفـــت، عـــن الطمأنينـــة فـــي زمـــن القلـــق. فـــإن كنـــت

ممن أرهقتهم الأسئلة، ممن يبحثون عن صوت يطمئنهم بأن الخير ما زال موجودًا، فتذكر أن الحياة دومًا تملك الجواب... فقط أنصت إليها جيدًا، فربما في كلماتها تجد ما كنت تبحث عنه منذ زمن!

إلى قارئي العزيز...

قبل أن تبدأ هذه الرحلة بين الكلمات، أود أن أقول لك شيئًا...

هذا الكتاب ليس مجرد صفحات تُقرأ، بل هو مساحة دافئة لروحك، محطة تأمل في زحمة الأيام، ورسالة خفية ربما كنت تحتاج إلى سماعها.

تمهّل في القراءة، دع الكلمات تلامس أعماقك، وخذ منها ما يشعرك بالسكينة.

الحيـــاة أوســـع ممـــا نتصـــور، وأجمـــل ممـــا نعتقد، وأنت لست وحدك في رحلتك.

فلنبـــدأ معًـــا... بقلـــبٍ مفتـــوح، ونفـــسٍ مطمئنـــة، وعقـــلٍ مســـتعد لاكتشـــاف نـــورٍ كـــان دومًـــا قريبًـــا، لكنـــه فقـــط كـــان بحاجـــة إلى لحظة انتباه.

هنـــاك لحظـــات فـــي الحيـــاة لا تُشـــبه غيرهـــا، لحظـــات نقـــف فيهـــا علـــى حافـــة اليـــأس، نبحـــث عـــن نـــورٍ ولـــو كـــان خافتًـــا، عـــن كلمـــةٍ تواســـينا، عـــن يـــدٍ تمتـــد إلينـــا وســـط العتمـــة.

هـــذا الكتـــاب لـــيس مجـــرد كلمـــات، بـــل هـــو صـــوتٌ قـــد يُشـــبه صـــوتك، قصـــةٌ ربمـــا تجـــد فيهـــا صـــدىً لتجاربـــك، ونـــبضٌ قـــد يهمـــس لروحك بأنك لست وحدك.

قبل أن تغوص بين الصفحات، اسمح لنفسك أن تتنفس بعمق، أن تقرأ بقلبك لا بعينيك فقط، وأن تترك لكل حرفٍ فرصة ليصل إليك كما يجب. فالحياة لا تبوح بأسرارها لمن يعبرها عجِلاً، بل لمن يتأملها برويّة، ويرى في كل انكسار حكمة، وفي كل تأخير لطفًا لم يكن يدركه من قبل.

والآن... لنبدأ الرحلة معًا.

الفصل الأول

حديث عن الأمل

يقال إن الليل يسبق الفجر دائمًا، وإن الظلام مهما اشتدّ، لا يستطيع أن يمنع الشمس من الشروق. لكن، ماذا عن أولئك الذين طال ليلهم، ولم يجدوا للفجر طريقًا؟ ماذا عن القلوب التي أرهقها الانتظار، والعقول التي امتلأت بأسئلة لم تجد لها إجابة؟

كثيرًا ما نظن أن الأمل مجرد وهمٍ نُقنع به أنفسنا، أو سرابٍ نركض خلفه دون جدوى. لكنه في الحقيقة، نبض الحياة الخفي، ذلك الصوت الهادئ الذي يهمس في أعماقنا كلما تعثرت خطواتنا: استمر، لم ينتهِ الطريق بعد!

الأمل ليس وعدًا بأن الأمور ستكون سهلة، وليس ضمانًا بأن الحياة ستمنحنا

دائمًا ما نريد. بل هو إيمانٌ بأن كل ما نمر به له حكمة، حتى وإن لم نرها الآن. هو يقينٌ بأن الغيوم التي تغطي سماءنا اليوم، ستتلاشى يومًا ما، تاركة لنا شمسًا أكثر إشراقًا من قبل.

في لحظات الانكسار، عندما تضيق الدنيا وتضيع الأحلام، يكون الأمل أشبه بخيط رفيع يمتدّ من السماء، لا نراه بأعيننا، لكن قلوبنا تشعر به. أحيانًا، يكون في كلمة عابرة، في نظرة طمأنينة، في يدٍ تُمدّ لنا دون أن نطلبها. وأحيانًا، يكون في أعماقنا، نبحث عنه دون أن ندرك أنه كان هناك منذ البداية.

عندما كنا صغارًا، كنا نحلم بلا قيود، نؤمن أن كل شيء ممكن، لكن مع مرور

الوقت، تعلمنا الخوف، واعتدنا التردد. تخلّينا عن بعض أحلامنا ظنًا أنها بعيدة المنال، واستسلمنا عندما اشتدّت العواصف. لكن الحقيقة التي تغفل عنها القلوب المتعبة هي أن الأمل لا يموت، هو فقط يختبئ أحيانًا، ينتظر منا أن نبحث عنه في المكان الصحيح: في أنفسنا، وفي الله الذي لا يخيب ظن من توكل عليه.

في النهاية، لا بأس أن نضعف، لا بأس أن نتعثر، لكن لا ينبغي أن ننسى أن حتى الأرض القاحلة تستطيع أن تُزهر إذا لامستها قطرة مطر. فربما، في مكان ما، في لحظة غير متوقعة، ستأتي تلك

القطـــرة، وتعيـــد إلينـــا كـــل مـــا ظننـــا أننـــا فقدناه.

وهنـــا، وجـــدتُ نفســـي أخاطـــب الحيـــاة، كأنهـــا تسمعني...

أنـــا: أيتهـــا الحيـــاة، لمـــاذا تجعلـــين الأمـــل يبـــدو بعيـــدًا عنـــا، كأنـــه نجمـــة فـــي الســـماء لا تُطـــال؟ لمـــاذا نبحـــث عنـــه طـــويلًا ولا نجـــده إلا عندما نكاد نستسلم؟

الحيـــاة: لأن الأمـــل لـــيس شـــيئًا يُمـــنح بـــلا ســـبب، بـــل هـــو هديـــة تُســـتحق. لا يُكشـــف نـــوره إلا لمـــن يبحـــث عنـــه بقلـــب مـــؤمن، لمـــن يختـــار أن يـــرى النـــور حتـــى وســـط العتمة.

أنـــا: لكـــن، هنـــاك مـــن تعـــب مـــن البحـــث، مـــن جـــرب كـــل الطـــرق ولـــم يجـــد ســـوى الأبـــواب

المغلقة. كيف لهم أن يتمسكوا بالأمل عندما تبدو الحياة وكأنها تعاندهم؟

الحياة: لأنهم ينظرون في الاتجاه الخاطئ. الأمل ليس في الطرق التي يختارها الإنسان، بل في الطريق الذي يُقدّره الله له. أحيانًا، يغلق الله بابًا لأن خلفه ما لا يناسبك، ويفتح آخر لم تكن تتوقعه. فقط اصبر، وثق بأن لكل شيء وقته.

أنا: لكن الصبر مُرهق، والانتظار ثقيل، والقلوب تملّ الترقب..

الحياة: نعم، لكنه أيضًا مدرسة، يعلمك أن ليس كل شيء يجب أن يحدث في اللحظة التي تريدها. تأمل في الشجرة التي تحتاج سنوات لتنمو، في النهر

الـــذي يشـــق طريقـــه بـــبطء، فـــي الليـــل الـــذي يطـــول لكنـــه لا يـــدوم. كـــل شـــيء يتحقـــق فـــي موعده المناسب، لا قبل ولا بعد.

أنـــا: إذن، أنـــتِ تقـــولين إن الأمـــل لـــيس مجـــرد انتظـــار، بـــل رحلـــة علينـــا أن نخوضها بقلب مطمئن؟

الحيـــاة: تمامًـــا، الأمـــل لـــيس أن تجلـــس متفرجًـــا منتظـــرًا تغييـــر الأقـــدار، بـــل أن تســـير رغـــم الغيـــوم، أن تـــؤمن رغـــم الغمـــوض، أن تســـتمر رغـــم العثـــرات. لأن من يؤمن، لا يضيع. ومن يتوكل، يصل.

أنـــا: لكـــن مـــاذا لـــو خـــاب أملـــي مـــراتٍ كثيـــرة؟ ماذا لو لم يعد لدي طاقة للمحاولة؟

الحيـــاة: الأمـــل لـــيس عـــدم الســـقوط، بـــل هـــو النهـــوض فـــي كـــل مـــرة تقـــع فيهـــا. حتـــى

الـوردة التـي تسـحقها الريـاح، تعـود لتنبـت مـن جديـد. أن تفقـد الأمـل يعنـي أن تفقـد الحيـاة نفسـها، فكيـف تتوقـع أن تفـتح لـك الأبواب وأنت لم تعد تطرقها؟

أنـا: لكـن هنـاك مـن يشـعر أنـه جـرب كـل شيء، ومع ذلك لم يتغير شيء.

الحيـاة: أحيانًـا، الحـل لا يكـون فـي تغييـر الظـروف، بـل فـي تغييـر نظرتـك لهـا. ربمـا أنـت تـرى أن مـا يحـدث لـك هـو عقبـة، لكنـه فـي الحقيقـة كـان الحمايـة التـي لـم تـدركها بعـد. لا تـنسَ أن البحـر يبـدو هادئًـا فـي الظـاهر، لكنـه يخفـي تحتـه تيـارات قويـة، وكذلك الحياة تخفي لنا أسبابًا لا نعلمها.

أنا: ولكن ماذا عن الألم الذي يرافقنا في الطريق؟ كيف يمكن أن يكون جزءًا من الأمل؟

الحياة: الألم ليس عدوًا كما تظن، بل هو أحد المعلمين الصامتين في هذه الدنيا. هو الذي يمنحك القوة، يعلمك الصبر، ويجعلك تدرك قيمة الأشياء التي لم تكن تقدرها من قبل. أولئك الذين لم يعرفوا الألم، لن يعرفوا طعم الفرح الحقيقي.

أنا: لكن أحيانًا، يكون الألم أقوى منا، يأخذ منا أكثر مما يعطينا.

الحياة: وهنا يأتي دور التمسك بالله. حين يشتد الألم، لا تبحث عن الأمل في الأشياء الزائلة، بل في الله الذي لا يتغير. حين تتعلق به، ستدرك أن حتى

أصعب اللحظات تحمل في طياتها نورًا خفيًا. ألم تقرأ يومًا قوله تعالى: "فإن مع العسر يسرا"؟

أنا: بلى، لكننا نريد أن نرى اليسر فورًا، لا نريد الانتظار.

الحياة: لأن الإنسان بطبيعته عجول، يريد كل شيء في وقته، بينما الله يمنحنا الخير في وقته المناسب، لا في وقتنا نحن. لهذا، من يتمسك بالله، لا يفقد الأمل أبدًا، لأنه يعلم أن كل شيء مؤقت، وأن كل تعب له نهاية، وأن بعد كل غروب، هناك شروق ينتظر.

صمتُ قليلًا بعد كلمات الحياة، كأنني كنتُ أبحث في داخلي عن صدى لما قالت. كم مرة شعرتُ أن الأمل سراب،

وأنه كلما اقتربتُ منه، ابتعد أكثر؟ وكم مرة أدركتُ لاحقًا أنني كنتُ أنظر في الاتجاه الخطأ؟

ربما الحياة محقة... ربما الأمل لم يكن يومًا شيئًا نبحث عنه خارج أنفسنا، بل كان يسكن قلوبنا طوال الوقت، ينتظر منا فقط أن نؤمن به. ربما الأمر لا يتعلق بعدد المرات التي خذلتنا فيها الأيام، بل بعدد المرات التي قررنا فيها أن نقف من جديد، رغم كل شيء.

رفعتُ رأسي نحو السماء، كانت النجوم تتلألأ رغم سواد الليل، كأنها تخبرني أن النور لا يغيب أبدًا، حتى في أحلك الأوقات. ابتسمتُ بخفة، وشعرتُ بنبض خافت من الطمأنينة في داخلي. لا بأس

إن تعبتُ، لا بأس إن بكيتُ، لا بأس إن تعثرتُ... المهم أنني لن أفقد الأمل أبدًا.

ففي نهاية المطاف، الحياة ليست مجرد طريق مستقيم، بل هي رحلات متداخلة من الحزن والفرح، من الضياع واليقين، من الانكسار والنهضة. وكل رحلة، مهما كانت شاقة، تقودنا إلى مكان جديد... وربما، إلى أنفسنا من جديد.

إلى اللقاء، أيتها الحياة... سنكمل حديثنا لاحقًا.

الفصل الثاني

حين تضيق بنا الحياة

مـــرّت الأيـــام، وبقيـــتُ أفكـــر فـــي كلمـــات الحيـــاة. كنـــتُ أبحـــث عـــن الأمـــل فـــي تفاصـــيل صـــغيرة، أراقـــب شـــروق الشـــمس كـــل صـــباح وأحـــاول أن أقنـــع نفســـي بـــأن الغـــد يحمـــل شـــيئًا أجمـــل، لكـــن... مـــاذا عـــن اللحظـــات التـــي نشـــعر فيهـــا بأننـــا محاصـــرون، بـــأن الأبـــواب قـــد أُغلقـــت جميعها، وأن لا طريق للخروج؟

كانـــت تلـــك الأيـــام ثقيلـــة، مشـــبعة بـــالحيرة والأســـئلة. تســـاءلتُ: لمـــاذا نُبتلـــى؟ لمـــاذا نشـــعر أحيانًـــا أن كـــل شـــيء ضـــدنا؟ ولمـــاذا تبـــدو الحيـــاة قاســـية حـــين نكـــون فـــي أشـــد الحاجة إلى اللطف؟

عـــدتُ إلـــى الحيـــاة لأســـألها، فوجـــدتها تنتظرنـــي كعادتهـــا، صـــامتة، هادئـــة، وكأنها كانت تعلم أنني سأعود.

أنـــا: لمـــاذا نشـــعر أحيانًـــا بأننـــا عـــالقون فـــي منتصـــف الطريـــق؟ أننـــا نحـــاول، لكـــن لا شيء يتغير؟

الحيـاة: لأنـك تنظـرين إلـى مـا لـم يتحقـق، لا إلـــى مـــا تحقـــق بالفعـــل. الإنســـان بطبيعتـــه يـــرى الأبـــواب المغلقـــة أكثـــر مـــن الأبـــواب التـــي فُتحـــت لـــه. لكنـــه لا يـــدرك أن بعـــض الأبـــواب التـــي لـــم تُفـــتح، كانـــت ســـتقوده إلـــى أماكن لم تكن مناسبة له.

أنـــا: لكـــن الانتظـــار صـــعب، والصـــبر مُرهق...

الحيـــاة: أعلـــم ذلـــك، لكـــن هـــل تـــذكرين البحـــر حـــين يكـــون فـــي حالـــة مـــد وجـــزر؟ هـــل رأيـــتِ كيـــف يبتعـــد المـــاء أحيانًـــا وكأنـــه لـــن يعـــود، ثـــم فجـــأة، يعـــود أقـــوى ممـــا كـــان؟ هكـــذا هـــي الحيـــاة، أحيانًـــا تســـلب منـــكِ شـــيئًا، فقـــط لتمنحكِ ما هو أفضل منه لاحقًا.

أنـــا: لكـــن هنـــاك أوقـــات نشـــعر فيهـــا أننـــا علـــى وشـــك الانهيـــار، أننـــا لـــم نعـــد قـــادرين علـــى التحمل.

الحيـــاة: حـــين تضـــيق بـــكِ الـــدنيا، لا تبحثـــي عـــن الأجوبـــة فـــي الخـــارج، بـــل ابحثـــي عنهـــا في أعماقكِ... وفي الله.

أنا: في الله...؟

الحيـــاة: نعـــم. لأنـــكِ حـــين تثقـــين بـــه، تـــدركين أن كـــل شـــيء تحـــت حكمتـــه، حتـــى الأمـــور

التي تبدو لكِ مؤلمة اليوم، قد تكون أعظم رحمة غدًا. الإنسان يرى جزءًا صغيرًا من الصورة، لكن الله يرى الصورة كاملة. ولهذا، من يتمسك به، لا يضيع أبدًا.

أنا: لكن كيف نتمسك به ونحن في أضعف حالاتنا؟

الحياة: بالدعاء، بالصبر، باليقين بأنه معنا دائمًا. أرأيتِ الطفل الصغير الذي يمسك بيد والده في الزحام؟ رغم كل الفوضى، لا يخاف، لأنه يعلم أن والده لن يتركه. هكذا يجب أن يكون إيمانكِ...

أنا: إذن، الحل ليس في الهروب من الألم، بل في مواجهته بقلب مؤمن؟

الحيـــاة: تمامًـــا. الحـــزن لـــن يختفـــي، لكنـــكِ ســـتتعلمين كيـــف تحوّلينـــه إلـــى قـــوة. الألـــم لـــن ينتهـــي، لكنـــه سيصـــقلكِ، ســـيجعلكِ أكثـــر حكمة، أكثر قربًا من ذاتكِ ومن الله.

صـــمتُّ للحظـــات، ثـــم أغلقـــتُ عينـــيّ. شـــعرتُ بشـــيء مـــن الســـكينة يتســـلل إلـــى داخلـــي، كـــأن الحيـــاة قـــد وضـــعت بـــين يـــديّ مفتاحًـــا كنتُ أبحث عنه طويلًا.

ربمـــا نحـــن لا نحتـــاج دائمًـــا إلـــى أجوبـــة، بـــل إلـــى يقـــين... إلـــى ثقـــة بأننـــا لســـنا وحـــدنا، وأن هنـــاك حكمـــة خلـــف كـــل شـــيء، حتـــى وإن لم ندركها الآن.

ابتســـمتُ بخفـــة، وأخـــذتُ نفسًـــا عميقًـــا. أدركـــتُ أننـــي، حتـــى فـــي أصـــعب لحظـــاتي، كنـــتُ تحـــت عنايـــة الله. وأنـــه، مهمـــا اشـــتدت

العتمـــة، فـــإن النـــور لا بـــد أن يجـــد طريقـــه يومًا ما.

الفصل الثالث

كيف نصنع لحظات من النور رغم الظلام؟

لم تكن الحياة يومًا طريقًا مستويًا، ولم تكن السعادة محطة دائمة، بل كانت لحظات تتسلل إلينا وسط العتمة، كأنها رسالة خفية تخبرنا أن النور لم يغب تمامًا. لكن، كيف نصنع هذا النور حين نشعر أن كل شيء من حولنا مظلم؟ كيف نُضيء قلوبنا حتى عندما تُطفئنا الأيام؟

عدتُ للحياة من جديد، فقد كنتُ بحاجة إلى إجابة.

أنا: الحياة، لماذا نشعر أحيانًا أن الفرح بعيد، كأنه شيء لا نملك الحق في امتلاكه؟

الحياة: لأنكِ تبحثين عن الفرح في الصورة الكبيرة، بينما هو يكمن في

التفاصيل الصغيرة. السعادة ليست بابًا يُفتح دفعة واحدة، بل هي نوافذ صغيرة نفتحها كل يوم.

أنا: لكن ماذا لو لم أجد شيئًا يُفرحني؟

الحياة: لأنكِ تبحثين في الخارج، بينما السعادة تبدأ من داخلكِ. اسألي نفسكِ: متى كانت آخر مرة توقفتِ عن الركض وراء الأشياء، وتأملتِ ما لديكِ بالفعل؟

أنا: لا أدري... ربما نحن لا ندرك قيمة الأشياء إلا عندما نفقدها.

الحياة: وهذا هو خطأ الإنسان، يركض وراء ما ينقصه، وينسى أن يشكر على ما بين يديه. جربي يومًا أن تعدي الأشياء التي تملكينها، لا التي فقدتها، وستدركين أنكِ أغنى مما تظنين.

أنـــا: لكـــن هنـــاك لحظـــات يكـــون فيهـــا كـــل شـــيء قاتمًـــا، لا نســـتطيع حتـــى أن نـــرى هذه النعم.

الحيـــاة: هنـــا يـــأتي دورِكِ فـــي صـــناعة النـــور بنفسكِ.

أنا: كيف؟

الحيـــــاة: بالامتنـــــان... بـــــاللطف... بالبساطة...

الامتنـــان: هـــل تعلمـــين أن الامتنـــان وحـــده قـــادر علـــى تغييـــر شـــعورِكِ بالكامـــل؟ عنـــدما تركّـــزين علـــى الـــنعم بـــدلاً مـــن الـــنقص، ستشـــعرين أن الحيـــاة لـــم تكـــن ظالمـــة كمـــا تظنين.

اللطـــف: عنـــدما تكـــونين فـــي قمـــة حزنـــكِ، حـــــاولي أن تســـــعدي شخصًـــــا آخـــــر.

ستندهشين من كمّ النور الذي يعود إليكِ حين تُضيئين طريق غيركِ.

البساطة: توقفي عن ملاحقة الأحلام الكبيرة للحظات، وعيشي التفاصيل الصغيرة... كوب قهوة دافئ، ضحكة مع صديقة، لحظة تأمل في السماء. السعادة ليست دائمًا في الإنجازات الضخمة، بل في هذه اللمسات اليومية التي تملأ أرواحنا بهدوء.

أنا: إذن، النور ليس شيئًا ننتظره، بل شيئًا نصنعه؟

الحياة: تمامًا. لا تنتظري أن تمنحكِ الأيام سعادة خالصة، بل تعلمي كيف تستخرجين النور حتى من أحلك اللحظات.

حين قالت الحياة ذلك، تذكرتُ موقفًا قديمًا، لكنه لم يفارقني أبدًا. كنتُ صغيرة، وفي يوم شتوي بارد، تعطلت الكهرباء في المنزل. كنتُ أرتجف من البرد، وأتذمر من الظلام، غير مدركة أن هناك من يعيشون هكذا كل يوم، بلا كهرباء، بلا تدفئة، بلا سقف يحميهم.

لكن أمي، بابتسامتها الهادئة، أخرجت شمعة وأشعلتها، ثم وضعت أمامي كوبًا من الحليب الساخن، وقالت: "انظري، كم نحن محظوظون! لدينا بيت يحمينا، ويد دافئة تحضر لنا الدفء، ونور ولو كان بسيطًا، لكنه يضيء العتمة."

في تلك اللحظة، شعرتُ بشيء غريب... كنتُ لا أزال في الظلام، لكن قلبي كان

ممتلئًا بالضوء. أدركتُ حينها أن السعادة لم تكن في امتلاك كل شيء، بل في رؤية الجمال فيما نملك.

واليوم، كلما شعرتُ أن الظلام يحيط بي، أعود إلى تلك اللحظة... وأشكر الله على كل شمعة صغيرة أضاءت حياتي، حتى لو لم أكن أراها بوضوح في البداية.

وقفتُ أمام نافذتي، كان الليل قد حلّ، لكنني لاحظتُ أن القمر كان يضيء السماء رغم العتمة. ابتسمتُ... أدركتُ أن الظلام لا يعني غياب النور، بل هو فقط خلفية تبرز لنا مدى تألقه.

ربما السعادة ليست في أن نعيش حياة خالية من الأحزان، بل في أن نتعلم كيف نجد الأمل، حتى حين يخذلنا كل شيء.

ربمـــا، علينـــا فقـــط أن نتوقـــف عـــن انتظـــار النور، وأن نضيئه بأنفسنا.

الفصل الرابع

حين تتكلم الصدف

فـــي لحظـــات الحيـــرة، عنـــدما نشـــعر أن الأبـــواب مغلقـــة وأن الإجابـــات غائبـــة، تحـــدث تلـــك المصـــادفات الصـــغيرة التـــي لا نعيرهـــا اهتمامًـــا، لكنهـــا تحمـــل بـــين طياتهـــا رســـالة خفيـــة، كـــأن الله يهمـــس لنـــا عبـــر تفاصـــيل الحيـــاة اليوميـــة، يقـــول لنـــا: "أنـــا معك، لا تخافي."

كنـــتُ غارقـــة فـــي التفكيـــر، أتســـاءل عـــن معنـــى الأشـــياء التـــي تحـــدث لـــي، عـــن الطـــرق التـــي لـــم أعـــد أراهـــا واضـــحة، وعـــن ذاك الشـــعور الـــذي يشـــبه الضـــياع... وفـــي غمـــرة شـــرودي، وجـــدتُ كتابًـــا قـــديمًا كنـــتُ قـــد نســـيته منـــذ زمـــن، فتحـــتُ صـــفحاته عشـــوائيًا، لأجـــد جملـــة تقـــول: "عنـــدما تعتقـــد أن الطريـــق مســـدود، انتظـــر، ربمـــا

أنت على وشك اكتشاف مخرج لم تره بعد."

شعرتُ أن تلك الكلمات لم تكن مجرد سطور عابرة، بل كانت إجابة... رسالة جاءت في اللحظة التي كنتُ أحتاج فيها إلى يقين. عندها أدركتُ أن الصدف ليست مجرد أحداث عشوائية، بل ربما هي طريقة الله في التحدث إلينا دون أن نشعر.

أنا: الحياة، هل أنتِ من ترسلين لنا هذه الإشارات؟ أم أنها مجرد خيال نصنعه لنواسي أنفسنا؟

الحياة: لا شيء يحدث عبثًا... حتى تلك الصدف التي تعتقدين أنها بلا معنى، هي

جـــزء مـــن لوحـــة أكبـــر لـــم تكتمـــل رؤيتهـــا بعد.

أنـــا: لكـــن لمـــاذا لا نفهمهـــا أحيانًـــا إلا بعـــد فوات الأوان؟

الحيـــاة: لأنـــكِ مشـــغولة بالبحـــث عـــن إجابـــات كبيـــرة، بينمـــا الحقيقـــة تكمـــن فـــي التفاصـــيل الصـــغيرة. الرســـائل موجـــودة حولـــكِ، فقـــط عليكِ أن تتعلمي كيف ترينها.

أنـــا: إذن، كـــل موقـــف، كـــل شـــخص، كـــل كلمة قد تكون رسالة؟

الحيـــاة: تمامًـــا، وعليـــكِ أن تكـــوني يقظـــة... فالحكمـــة قـــد تأتيـــكِ علـــى هيئـــة شـــخص غريـــب يقـــول لـــكِ جملـــة عـــابرة، أو موقـــف بســـيط يجعلـــكِ تـــدركين مـــا لـــم تفهميـــه مـــن قبل.

أنـــا: وكيـــف أعـــرف أنهـــا رســـالة حقيقيـــة وليست مجرد وهم؟

الحيـــاة: عنـــدما تشـــعرين أن كلمـــات بســـيطة لمســـت قلبـــكِ بطريقـــة لـــم تتوقعيهـــا... عنـــدما يكـــون الموقـــف الـــذي مـــررتِ بـــه كأنـــه إجابـــة عـــن ســـؤال لـــم تبحِـــي بـــه لأحـــد... عنـــدما تتكـــرر أمامـــكِ فكـــرة معينـــة فـــي أكثـــر مـــن مكـــان كأنهـــا تطـــاردكِ... عنـــدها، اعلمـــي أنهـــا ليســـت مجـــرد صـــدفة، بل باب مفتوح عليكِ أن تدخليه.

أنـــا: إذن، علـــيّ أن أكـــون أكثـــر انتباهًـــا لمـــا حولي؟

الحيـــاة: لـــيس فقـــط لمـــا حولـــكِ، بـــل لمـــا بـــداخلكِ أيضًـــا. أحيانًـــا تكـــون الإجابـــة فـــي

قلبكِ، لكنكِ بحاجة إلى إشارة خارجية لتراها بوضوح.

ذكرى لا تُنسى

أتذكر جيدًا ذلك اليوم... كنتُ أشعر بالإحباط، كأنني في منتصف طريق لا أعرف إلى أين يقودني. كنتُ أتساءل إن كان عليّ الاستمرار في السعي، أم أنني أُجهد نفسي بلا فائدة. وبينما كنتُ أسير في الشارع، رأيتُ رجلاً مسنًا يبيع الورد، اقتربتُ منه وابتسمتُ، فابتسم لي وقال: "لا أحد يعلم متى ستتفتح الزهرة التي زرعها، لكنه يسقيها كل يوم لأنه مؤمن أنها ستُزهر يومًا ما."

توقفتُ للحظات، كأن الزمن تجمد... لم يكن يعرفني، ولم يكن يعرف كم كنتُ

بحاجة إلى تلك الكلمات، لكنها كانت كافية لتشعل داخلي شرارة من الأمل.

في ذلك اليوم، أدركتُ أن الحياة تتحدث إلينا بطرق لا تخطر على بالنا، وأن الرسائل لا تأتي دائمًا في شكل معجزات عظيمة، بل في بساطة اللحظات التي تمر بنا دون أن ننتبه لها.

منذ ذلك اليوم، تعلمتُ ألا أستهين باللحظات العابرة، فقد تحمل بين طياتها حكمة تغير مسار حياتي.

وربما، عندما تتكرر أمامكِ فكرة معينة، أو تصادفين شيئًا بدا كأنه موجّه إليكِ تحديدًا، لا تستهيني به... قد يكون الله يرسل لكِ رسالة، في أكثر الطرق بساطة، فقط لتعلمي أنه ما زال معكِ.

الفصل الخامس

حينما فاجأتني الحياة

لطالما كنتُ أظن أن الحياة تسير بنا على خط مستقيم، بلا منعطفات مفاجئة، بلا هدايا غير متوقعة... حتى جاء ذلك اليوم الذي قلب كل شيء رأسًا على عقب.

كنتُ قد شاركتُ في مسابقة أدبية، وأرسلتُ نصّي وأنا شبه متأكدة أنه لن يُلتفت إليه. لم أكن أرى في كلماتي ذلك البريق الذي يجعلها تستحق التقدير. كان مجرد اختبار أخير لنفسي قبل أن أقرر أن أكتفي بالكتابة لنفسي، بعيدًا عن الأحلام الكبيرة التي كنتُ أظنها أكبر مني.

مرت الأيام... ولم يأتِ أي رد.

"كما توقعتُ تمامًا."

طويتُ الصفحة على هذا الحلم، أقنعتُ نفسي أنني كنتُ ساذجة حين ظننتُ أن شيئًا كبيرًا قد يحدث لي.

ثم جاء ذلك الصباح العادي، الذي لم تكن فيه أي نية للاحتفال... كنتُ أتناول قهوتي بكسل، أفتح هاتفي بلا اهتمام، حتى رنّ رقم غريب. تجاهلته أول مرة، لكن الفضول دفعني للرد حينما أعاد الاتصال.

"أهلاً، هل هذه...؟" (وذكروا اسمي)

"نعم، من معي؟"

"نحن من لجنة التحكيم الخاصة بالمسابقة الأدبية..."

تجمدتُ. هل هذا يحدث فعلًا؟

"نـــود إبلاغـــكِ أن نصّـــكِ قـــد فـــاز بـــالمركز الأول، وقـــد تـــم اختيـــاره للنشـــر فـــي مجلـــة كبرى."

كـــدتُ أســـقط مـــن الكرســـي. ارتجفـــتُ، لـــم أعـــرف كيـــف أجيـــب، فقـــط تمتمـــتُ بجملـــة غيـــر مفهومـــة، قبـــل أن أنهـــي المكالمـــة وأظل أحدّق في الفراغ.

أنـــا؟ المركـــز الأول؟ الـــنص الـــذي كنـــتُ أظنـــه بلا قيمة؟

مـــرّت ثـــوانٍ شـــعرتُ خلالهـــا أن الـــزمن توقـــف، وكـــأنني بـــين عـــالمين... عـــالم كنـــتُ أظـــن أننـــي أنتمـــي إليـــه، حيـــث لا شـــيء يحـــدث، وعـــالم آخـــر فـــتح لـــي بابـــه فجـــأة، دون أن أقرع عليه حتى.

حينها، سمعتُ صوت الحياة... لم يكن صوتًا خارجيًا، لكنه كان واضحًا في أعماقي، وكأنه نابع من داخلي، صوتًا هادئًا لكنه مليء بالقوة، كأنها تحدثني مباشرة:

"كنتُ أخبركِ طوال الوقت أنكِ قادرة، لكنكِ لم تسمعيني."

"ظننتِ أن الطريق مسدود لأنكِ لم ترَي الباب المخفي."

"ظننتِ أن جهدكِ يضيع سدى، لكنه كان يُبنى في الخفاء، حتى حان وقت ظهوره."

أحسستُ بقشعريرة تسري في جسدي. كان كل شيء واضحًا الآن... الحياة لم تكن ضدي، ولم تكن تضع العراقيل في

طريقي، بل كانت تجهّزني للحظة التي سأثبت فيها لنفسي أنني أستحق.

نهضتُ ببطء، نظرتُ إلى وجهي في المرآة... ولم أرَ الفتاة التي كانت تملؤها الشكوك، بل رأيتُ شخصًا آخر. شخصًا أدرك أخيرًا أن الحياة لا تُحب الاستسلاميين، لكنها تمنح فرصًا لمن يستمر رغم كل شيء.

في ذلك اليوم، لم يكن مجرد فوز. كان رسالة واضحة من الحياة:

"لم يكن عليكِ أن تفقدي الأمل، كنتِ أقرب مما تظنين."

وضعتُ الهاتف، نظرتُ إلى السماء، وابتسمتُ... هذه المرة، لم يكن انتصارًا عاديًا، بل كان انتصارًا على ذلك الصوت

الـــــداخلي الـــــذي أخبرنـــــي مـــــرارًا أننـــــي لا أستطيع.

الفصل السادس

الحياة لا تمنح هداياها عبثًا

كنتُ أظن أن المفاجآت الجميلة تأتي مرة واحدة، ثم تعود الحياة إلى رتابتها المعتادة... لكنني كنتُ مخطئة.

بعد أن تلقيتُ خبر فوزي، كنتُ أعيش نشوة الفرح، لكن في أعماقي، كان هناك صوت آخر يهمس لي: "هل كان الأمر مجرد صدفة؟ هل أستحق هذا حقًا؟"

كنتُ سعيدة، نعم، لكن جزءًا مني كان ما يزال يشعر بأنه لم يصل بعد... كأنني في مرحلة انتقالية، على أعتاب شيء أكبر، لكنني لا أملك الجرأة للعبور.

ثم جاء اليوم الذي أثبت لي أن الحياة لا تمنح هداياها عبثًا.

لحظة الحقيقة

بعد أسبوع، تلقيتُ دعوة لحضور حفل توزيع الجوائز. كنتُ مترددة في الذهاب، فكرة أن أقف أمام لجنة التحكيم وأسمع اسمي يُنادى بين الفائزين جعلتني أشعر بتوتر لم أختبره من قبل.

لكنني ذهبت... وفي اللحظة التي وقفتُ فيها على المسرح، وسط التصفيق، وبينما كنتُ أمسك بشهادة التقدير بين يدي، شعرتُ بشيء مختلف تمامًا...

لأول مرة، لم يكن الفرح فقط بسبب الفوز.

بل كان بسبب شيء أعمق... كان بسبب إدراكي أنني لم أكن "محظوظة"، بل كنتُ "جاهزة".

كل كلمة كتبتها، كل لحظة شك مررتُ بها، كل إحباط شعرتُ به، لم يكن عبثًا... كان جزءًا من رحلة كانت تقودني إلى هذه اللحظة.

وهنا، سمعتُ صوت الحياة من جديد:

"النجاح لم يكن صدفة، بل كان نتيجة كل ما مررتِ به... الدموع، الصبر، وحتى تلك اللحظات التي كنتِ فيها على وشك الاستسلام."

"أنا لا أمنح هداياي لمن لا يستحق، لكنني أعطيها لمن كان مستعدًا لاستقبالها."

لحظة الإدراك

بعد الحفل، عدتُ إلى المنزل وأنا أشعر وكأنني أعيد تعريف نفسي. لم أعد تلك

الفتاة التي تكتب خوفًا من الفشل، بل أصبحتُ تلك التي تكتب بثقة، لأنها تعلم أن لكل كلمة قيمة، ولكل جهد ثمرة، حتى لو تأخرت في الظهور.

وفي طريق العودة، بينما كنتُ جالسة بجوار النافذة أراقب الأضواء الخافتة في الشوارع، تذكرتُ لحظة قديمة...

تذكرتُ أول مرة أمسكتُ فيها قلمًا، وكتبتُ دون خوف، دون أن أفكر في التقييم أو في نظرة الآخرين. كنتُ أكتب لأنني أحب ذلك، لأن الكتابة كانت صوتي حين لم يكن لي صوت.

لكن في مكان ما على طول الطريق، بدأتُ أشك في قلمي، في نفسي، في

أحقيتي بالحلم... حتى جاء هذا اليوم، ليعيدني إلى حقيقتي الأولى.

حين وصلتُ إلى غرفتي، فتحتُ دفتر ملاحظاتي، وكتبتُ فيه جملة واحدة:

"هذه ليست النهاية، بل البداية فقط."

لأول مرة، شعرتُ أنني مستعدة... مستعدة لمواجهة الحياة، لا كضحية تحاول النجاة، بل ككاتبة تحمل قلمها بثبات، وتكتب قصتها بنفسها.

إلى أولئك الذين يشعرون أن الحياة تمضي دون أن تلتفت إليهم، إلى من كافحوا ولم يجدوا نتيجة، إلى من ظنوا أن الفشل قدرٌ محتوم... أعلم جيدًا كيف تشعرون.

كنتُ هناك.

كنتُ تلك التي جلستُ في زاوية مظلمة، أتساءل إن كنتُ سأصل يومًا، إن كنتُ سأكون من بين الذين ينجحون، أم أنني سأظل أراقب من بعيد. كنتُ أرى الآخرين يحققون أحلامهم، بينما كنتُ أعيش في خوف، في تردد، في انتظار اللحظة المناسبة التي لم تأتِ أبدًا.

لكن الحياة كانت تراقبني أيضًا. كانت تختبرني، تسألني: "إلى متى ستنتظرين؟ إلى متى ستشكّين في نفسكِ؟"

واليوم، بعد أن عشتُ لحظة نجاحي، بعد أن لمستُ الحلم الذي ظننته مستحيلًا، أدركتُ شيئًا واحدًا...

الأمل لا يموت، لكنه يحتاج من يُنعشه.

إلى من يشعر أنه لم يعد قادرًا على المحاولة...

إلى من فقد ثقته في أن الغد قد يحمل خيرًا...

إلى من تعب من المحاولات الفاشلة...

أنا كنتُ هناك، وها أنا اليوم أخبركم أن كل شيء سيتغير في اللحظة التي تقررون فيها ألا تستسلموا.

الحياة لن تعطيكم إشارات واضحة، ولن تفتح لكم الأبواب بسهولة، لكنها دائمًا تخبئ لكم شيئًا إن تمسكتم بالمحاولة.

ربما ليس اليوم، وربما ليس غدًا، لكنني أعدكم أن يومًا ما، حين تنظرون إلى الخلف، سترون أن كل خطوة، كل دمعة،

كل سقوط... كان يقودكم إلى شيء أعظم.

لا تيأسوا. الحياة لم تنتهِ بعد، وما زالت هناك صفحات لم تُكتب... والأجمل لم يأتِ بعد.

بعدما كتبتُ رسالتي لأولئك الذين فقدوا الأمل، شعرتُ أنني لم أنتهِ بعد. كان هناك شيء آخر ينتظرني... صوت الحياة عاد مجددًا، لكن هذه المرة لم يكن عتابًا، بل كان حديثًا مختلفًا تمامًا.

الحياة: أترين؟ لم يكن النجاح نهاية الرحلة، بل بدايتها فقط.

أنا: لكن لماذا كان الطريق صعبًا؟ لماذا اضطررتُ للمرور بكل ذلك الألم حتى أصل؟

الحيـــاة: لأنـــكِ لـــم تكـــوني مســـتعدة مـــن قبـــل. كـــل تجربـــة، كـــل ســـقوط، كـــان يعـــدّكِ للحظـــة التـــي أصـــبحتِ فيهـــا قـــادرة علـــى حمـــل الحلـــم دون أن يكسركِ وزنه.

أنـــا: لكننـــي كنـــتُ أريـــد أن أصـــل مـــن قبـــل، كنتُ أريد أن أختصر الطريق.

الحيـــاة: وهـــل كنـــتِ ســـتفهمين قيمتـــه لـــو حـــدث ذلـــك؟ النجـــاح الســـهل لا يُبنـــى علـــى أســـاس متـــين. كـــل الـــذين وصـــلوا بســـرعة، ســـقطوا بـــنفس الســـرعة. أمـــا أنـــتِ، فقـــد بنيـــتِ نفســـكِ طبقـــةً طبقـــة، وهـــا أنـــتِ اليـــوم، أقوى مما كنتِ تعتقدين.

أنـــا: لكـــن هنـــاك مـــن تعبـــوا ومـــا زالـــوا عـــالقين فـــي منتصـــف الطريـــق... مـــاذا عنهم؟

الحيـــاة: لكـــلٍّ وقتـــه، ولكـــلٍّ رحلتـــه. أنـــتِ اليـــوم رســـالة لهـــم، لأنـــكِ كنـــتِ فـــي مكـــانهم يومًـــا مـــا، وهـــا أنـــتِ الآن تخبـــرينهم أن الضـــوء موجـــود فـــي نهايـــة النفـــق، حتـــى لـــو لم يستطيعوا رؤيته بعد.

صـــمتُّ قلـــيلًا، ثـــم ابتســـمتُ. لأول مـــرة، لـــم أشـــعر أن الحيـــاة كانـــت ضـــدي، بـــل كانـــت معـــي طـــوال الوقـــت، لكننـــي لـــم أفهـــم إشاراتها.

وقفـــتُ أمـــام نافـــذتي، نظـــرتُ إلـــى الســـماء، وشـــعرتُ بطمأنينـــة لـــم أشـــعر بهـــا مـــن قبل...

أنـــا لـــم أصـــل بعـــد، لكننـــي لـــم أعـــد خائفـــة مـــن الطريق.

حين أدركتُ أن الطريق لم يكن ضدّي، بل كان يعدّني، شعرتُ أن نجاحي لم يعد مجرد مكافأة شخصية... بل أصبح رسالة. رسالة لمن كنتُهم سابقًا، لمن يشعرون اليوم كما كنتُ أشعر.

لكن كيف أُوصلها؟

كيف أجعلهم يؤمنون أن النور ليس وهمًا؟

كيف أخبرهم أن الأمل ليس مجرد كلمات تُقال لتخفيف الألم؟

بينما كنتُ غارقة في التفكير، عادت الحياة لتهمس لي مجددًا...

الحياة: لقد منحكِ الله هذه التجربة، فماذا ستفعلين بها؟

أنـــا: أريـــد أن أخبـــرهم أن الألـــم لـــيس النهاية.

الحياة: وهل سيصدقونكِ؟

أنـــا: ربمـــا لا... لأننـــي حـــين كنـــتُ مكـــانهم، لـــم أصـــدق أحـــدًا أيضًـــا. كنـــتُ أرى كـــل كلمـــات التشـــجيع مجـــرد جُمـــل جوفـــاء، كنـــتُ أريد معجزة، كنتُ أريد دليلاً.

الحيـــاة: إذن أعطِهـــم دلـــيلًا... أخبـــريهم بقصـــتكِ، ولكـــن لا تجمّليهـــا. دعـــيهم يـــروا كـــل شـــيء، الســـقوط، الفشـــل، اليـــأس... ثـــم دعيهم يرون كيف نهضتِ.

أدركـــتُ حينهـــا أن كلمـــاتي وحـــدها لـــن تكفـــي، بـــل يجـــب أن أجعلهـــم يـــرون الطريـــق كما رأيته، أن يشعروا بما شعرتُ به.

وهكذا بدأتُ أكتب...

بـــدأتُ أســـرد قصـــتي بكـــل مـــا فيهـــا، بـــدون زخرفة، بدون إخفاء الضعف.

كتبـــتُ عـــن لحظـــات فقـــدتُ فيهـــا الرغبـــة فـــي الاستمرار.

كتبـــتُ عـــن الليـــالي التـــي ظننـــتُ فيهـــا أن الغـــد لن يأتي بشيء جديد.

كتبـــتُ عـــن الأيـــام التـــي بكيـــتُ فيهـــا وأنـــا أشعر أنني لا أملك أي قيمة.

لكننـــي كتبـــتُ أيضًـــا عـــن اللحظـــة التـــي تغيّـــر فيهـــا كـــل شـــيء، عنـــدما قـــررتُ أن أبـــدأ مـــن جديد، رغم أنني كنتُ ما زلتُ خائفة.

كتبـــتُ عـــن كيـــف أن الله لـــم يخـــذلني أبـــدًا، حتى عندما كنتُ أظن أنني وحدي.

وحـــين انتهيـــتُ مـــن الكتابـــة، لـــم أكـــن أشـــعر أننـــي فقـــط كتبـــتُ قصـــة... بـــل شـــعرتُ أننـــي

قـــدّمتُ شـــيئًا يشـــبه النـــور فـــي عتمـــة الآخرين.

الحيـــاة: والآن، هـــل عرفـــتِ لمـــاذا مـــررتِ بكل هذا؟

أنـــا: نعـــم... لكـــي أخبـــرهم أنهـــم ليســـوا وحدهم.

الحيـــــاة: والآن، قـــــدمي لهـــــم هـــــذه الرســـالة... واجعليهـــا تصـــل إلـــى القلـــوب التي تحتاجها.

بعـــد تقـــديمي للرســـالة التـــي شـــعرت أنهـــا نبضـــت مـــن عروقـــي وتبـــادرت مـــن بـــين ضـــلوع قلبـــي... لـــم أكـــن أعلـــم أن الكلمـــات يمكنهـــا أن تخلـــق أثـــرًا، أن تمتـــد عبـــر المســـافات لتصـــل إلـــى قلـــب لـــم أره يومًـــا، لكنه كان يشبهني كثيرًا...

فـــي أحـــد الأيـــام، وبينمـــا كنـــتُ أتصـــفح هـــاتفي، وصـــلتني رســـالة لـــم تكـــن كـــأي رســـالة. كانـــت طويلـــة، تحمـــل بـــين ســـطورها شـــيئًا يشـــبه صـــوتي القـــديم، ذلـــك الصـــوت الـــذي كنـــتُ أســـمعه عنـــدما كنـــتُ فـــي قـــاع الألـــم، عنـــدما لـــم يكـــن هنـــاك مـــن يفهمنـــي أو يمســـك بيـــدي ليقـــول لـــي: "أنـــتِ لستِ وحدكِ."

فتحتُ الرسالة وبدأتُ أقرأ:

"إلـــى الإنســـانة التـــي لـــم أرهـــا يومًـــا، ولكنهـــا رأتني دون أن تعلم...

أنـــا شـــخص عـــادي، قـــد لا يكـــون اســـمي مهمًـــا، وقـــد لا أكـــون مختلفًـــا عـــن غيـــري، لكننـــي عشـــتُ فـــي ظلمـــة لـــم أكـــن أظـــن أننـــي ســـأخرج منهـــا يومًـــا. كانـــت الحيـــاة تضـــربني

بـــلا رحمـــة، وكلمـــا حاولـــتُ النهـــوض، ســـقطتُ مجـــددًا. كنـــتُ أبحـــث عـــن شـــيء يمســـكني، عـــن دليـــل واحـــد يخبرنـــي أننـــي لـــم أُخلـــق فقـــط لأتـــألم. كنـــتُ أبحـــث عـــن شـــخص مـــرّ بهـــذا الألـــم وخـــرج منـــه، شـــخص يخبرنـــي أن النـــور لـــيس وهمًـــا، وأن الأمـــل لـــيس مجـــرد كلمـــات جميلـــة تُقـــال لمـــن هـــم على حافة الهاوية.

وحـــين كنـــتُ علـــى وشـــك الاستســـلام، وجـــدتُ كلماتكِ...

لا أعـــرف كيـــف وصـــلتُ إلـــى كتاباتـــكِ، ربمـــا كـــان الأمـــر مصـــادفة، وربمـــا كـــان رســـالة مـــن الله فـــي اللحظـــة التـــي كنـــتُ أحتاجهـــا فيهـــا أكثـــر مـــن أي وقـــت مضـــى. قرأتُـــكِ كمـــا لـــو أننـــي أســـمع صـــوتي، كمـــا لـــو أننـــي أرى

نفسي في مرآة لم أكن أعلم أنها موجودة. كنتِ تكتبين عن الألم وكأنكِ كنتِ تعيشين داخلي، كنتِ تصفين اليأس وكأنكِ كنتِ تمسكين بيدي وأنا أسقط.

لكن الشيء الذي لم أكن أتوقعه... هو أنكِ لم تتوقفي هناك.

لقد كتبتِ عن الضوء، عن الأمل، عن اليوم الذي استيقظتِ فيه وقررتِ أن الحياة لن تُهزمكِ. قرأتُ عن كيف تعلمتِ المشي وسط العتمة، وكيف بدأتِ تصنعين لنفسكِ نورًا بدلًا من أن تنتظريه. قرأتُ عن كيف تمسكتِ بالله حين كنتِ تشعرين أنكِ وحدكِ، وكيف أدركتِ لاحقًا أنه لم يتركِ أبدًا.

هل تعلمين ماذا حدث لي بعد ذلك؟

لأول مـــرة منـــذ ســـنوات... بكيـــتُ، لكـــن لـيس مـن الألـم هـذه المـرة، بـل مـن الأمـل. بكيـتُ لأننـي شـعرتُ أن هنـاك شخصًـا عبـر نفـس الطريـق، ونجـا منـه. شـعرتُ أننـي لسـتُ وحـدي، وأننـي ربمـا أسـتطيع النهـوض كمـا فعلـتِ. كنـتُ أظـن أننـي انتهيـتُ، لكـن كلماتـكِ جعلتنـي أدرك أننـي لم أبدأ بعد.

لذلك، أردتُ أن أقول لكِ... شكرًا.

شـكرًا لأنـكِ شـاركتِ ضـعفكِ بـدلًا مـن أن تخفيـه، لأنـكِ جعلـتِ مـن جروحـكِ رسـالة بـدلًا مـن أن تجعليهـا نهايـة. شـكرًا لأنـكِ منحتِنـي فرصـة لأرى الحيـاة بطريقـة مختلفـة، ولأنـكِ جعلتِنـي أؤمـن أن الله لا يخذل أحدًا، حتى لو تأخر الفرج.

أعـدكِ أننـي سـأحاول، أننـي سـأقاوم، لـيس لأننـي متأكـد مـن أننـي سـأنجح، ولكـن لأننـي أؤمـن الآن أن المحاولـة بحـد ذاتهـا حياة.

ربمـا لـن أراكِ يومًـا، وربمـا لـن تعرفـي مـن أنـا... لكننـي أريـدكِ أن تعرفـي شـيئًا واحدًا: كلماتكِ أنقذتني، وهذا يكفي.

بامتنان لا يمكن للكلمات وصفه...

روح وجدت النور بفضل روح أخرى."

وضـعتُ الهـاتف بيـدي المرتعشـة، وشـعرتُ أن قلبـي ينـبض بطريقـة مختلفـة. لـم تكـن دقاتـه عاديـة، كـان وكأنهـا تغنـي بلحـن جديـد، كأنهـا رقصـة فـرح هادئـة وسـط السـكون. لـم أسـتطع أن أمنـع دمـوعي، لكنهـا لـم تكـن دمـوع الحـزن، بـل

دمـــوع شـــخص أدرك أخيـــرًا أن مـــا مـــرّ بـــه لم يكن عبثًا.

وقفـــتُ للحظـــات، نظـــرتُ حـــولي... كـــل شـــيء بـــدا كمـــا هـــو، نفـــس الغرفـــة، نفـــس الأشـــياء، لكننـــي شـــعرتُ أننـــي مختلفـــة، وكـــأنني خُلقـــتُ مـــن جديـــد. شـــعرتُ أننـــي أكبـــر مـــن مجـــرد شـــخص نجـــا مـــن ألمـــه، بـــل أصـــبحتُ شخصًـــا قـــادرًا علـــى مـــنح الحيـــاة للآخرين.

تـــذكرتُ كـــل لحظـــة صـــعبة عشـــتها، كـــل مـــرة شـــعرتُ فيهـــا أننـــي لـــن أقـــوى علـــى الاســـتمرار. فـــي تلـــك اللحظـــات، كنـــتُ أتســـاءل دائمًـــا: لمـــاذا أنـــا؟ لمـــاذا كـــل هـــذا الألم؟

لكنني الآن وجدتُ الإجابة...

كـــان علـــيّ أن أمـــر بكـــل ذلـــك، لأصـــل إلـــى هذه اللحظة.

لحظة الفخر...

لحظة الامتنان...

لحظـــة إدراك أننـــي لـــم أكـــن أكتـــب لنفســـي فقـــط، بـــل كنـــتُ أزرع نـــورًا فـــي قلـــوب لـــم أكن أعرف أنها ستراه.

أخـــذتُ نفسًـــا عميقًـــا، شـــعرتُ بـــدفء الحيـــاة يحتضنني، كما لو أنها تبتسم لي أخيرًا.

اليـــوم، أنـــا لســـتُ فقـــط مـــن تجـــاوزت المحنة...

أنـــا أصـــبحتُ جـــزءًا مـــن نـــور ينتقـــل مـــن قلـــب إلى قلب، يحيي الأمل في من يحتاجه.

الدائرة تكتمل... والأثر يستمر.

وماذا بعد؟

بعد أن قرأتُ الرسالة، شعرتُ بأن العالم من حولي توقف للحظات، كأن الزمن منحني فرصة لأستوعب ما حدث. كان إحساسًا يشبه الوقوف على قمة جبل بعد رحلة طويلة من الصعود، أنظر إلى الطريق الذي خلفته ورائي، وأدرك كم كان شاقًا، لكنه قادني إلى هذا المنظر البديع.

لقد وصلتُ إلى لحظة لم أتخيلها يومًا... لحظة أدرك فيها أن معاناتي لم تكن بلا معنى، وأن الألم الذي ظننته عقوبة كان في الحقيقة هدية، هدية جعلتني أكتب، جعلتني أُسمِع صوتي لمن كان في حاجة إليه.

لكن سؤالًا تسلل إلى ذهني وسط هذا الشعور العارم بالامتنان: وماذا بعد؟

هل يكفي أن أكون شعلة أمل لشخص واحد؟ هل انتهى دوري هنا؟ أم أن هناك مزيدًا من الطرق التي عليّ أن أسلكها، مزيدًا من الأرواح التي تحتاج إلى كلمات تنير ظلامها؟

في تلك الليلة، جلستُ بجانب النافذة، نظرتُ إلى السماء، كانت النجوم تتلألأ، كأنها تهمس لي بلغة لا يفهمها سوى من تذوق معنى النور بعد العتمة.

سمعتُ صوتًا داخليًا، كان يشبه صوت الحياة حين خاطبتني لأول مرة، لكنه كان أكثر وضوحًا هذه المرة.

قالت لي الحياة:

"مـــا زلـــتِ فـــي بدايـــة الطريـــق، يـــا صغيرتي."

رفعـــتُ حـــاجبي بدهشـــة، بدايـــة الطريـــق؟! ألـــيس هـــذا مـــا كنـــتُ أســـعى إليـــه طـــوال الوقـــت، أن أصـــل إلـــى هـــذه اللحظـــة، أن أشـــعر أننـــي انتصـــرتُ علـــى حزنـــي؟ كيـــف يكون هذا مجرد بداية؟

ابتسمت الحياة وقالت لي بلطف:

"هـــل تعلمـــين مـــاذا يحـــدث عنـــدما يشـــعل أحدهم شمعة وسط العتمة؟"

أجبتُ بتردد:

"ينتشر النور من حوله...؟"

هزّت الحياة رأسها موافقة، ثم تابعت:

"لكـــن إن اكتفـــى بهـــا وظـــنّ أنـــه أدى دوره، فإنهـــا ســـتحترق وتنطفـــئ دون أن تتـــرك

أثـــرًا. أمـــا إن حملهـــا وســـار بهـــا، فســـينير دروبًـــا أخـــرى، وســـيلتقي بأشـــخاص يحملـــون شـــموعهم الخاصـــة، وســـويًا... سيصبح الظلام مجرد ذكرى."

تأملـــتُ كلامهـــا، وشـــعرتُ بقشـــعريرة تســـري فـــي جســـدي. فهمـــتُ مـــا كانـــت تعنيـــه... لا يجـــب أن أكتفـــي بهـــذه اللحظـــة، لا يجـــب أن أجعـــل نجـــاحي مجـــرد محطـــة أتوقـــف عندها، بل عليّ أن أجعله نقطة انطلاق.

كـــان علـــيّ أن أبـــدأ مـــن جديـــد، لكـــن هـــذه المرة... لأجل الآخرين.

فـــي اليـــوم التـــالي، اســـتيقظتُ بشـــعور مختلـــف، كـــأنني لـــم أعـــد مجـــرد شـــخص يبحـــث عـــن الخـــلاص، بـــل أصـــبحتُ شخصًـــا يحمل رسالة.

فتحتُ هاتفي، عدتُ إلى رسائل الناس التي كنتُ أتلقاها، وتأملتُ كيف أن كلماتي البسيطة منحتهم بصيصًا من الأمل.

ثم، وبلا تفكير طويل، كتبتُ رسالة إلى نفسي، إلى كل من يشعر أن الحياة خانته، إلى كل من يظن أن الألم لا نهاية له.

"إلى من يقرأ هذه الكلمات، إلى من يشعر أن العالم ضاق به...

أنا هنا لأخبرك أنك لستَ وحدك.

أنا هنا لأخبرك أنني كنتُ هناك، في ذات البئر المظلم، وشعرتُ أنكَ ربما لن تخرج منه أبدًا، لكنني خرجتُ.

لم يكن الأمر سهلًا، ولم يحدث بين ليلة وضحاها، لكنني اليوم أقف هنا، وأخبرك أن النور موجود، حتى لو كنتَ لا تراه الآن.

صدقني، ليس عليكَ أن ترى النور لتؤمن بوجوده، يكفي أن تؤمن أنه هناك، في مكان ما، ينتظرك عندما تكون مستعدًا لرؤيته.

أرجوك، لا تستسلم الآن... ليس قبل أن ترى كيف يمكن للأشياء أن تتغير، ليس قبل أن تمنح نفسك فرصة لحياة لم تتوقعها أبدًا.

تمسك بالله، فهو الذي لم ولن يتركك يومًا، حتى عندما ظننتَ أنه غائب، كان هو الوحيد الذي يحمل قلبك بين يديه."

أرسلتُ الرسالة، ولم أكن أدري إلى أين ستصل، أو من سيقرأها، لكنني كنتُ واثقة أنها ستجد طريقها إلى قلب يحتاجها.

أغلقتُ عيني، ابتسمتُ... وشعرتُ أنني أعيش من جديد.

حينما توقفت الحياة للحظة

كل شيء كان يسير كما يجب... أو هكذا كنت أظن.

النجاحات الصغيرة تتراكم، الأمل يكبر في قلوب الآخرين، وأنا... أنا كنت أعيش شعور الامتنان، أشعر بأنني أخيرًا وجدت رسالتي في هذه الحياة.

لكن، للحياة دائمًا رأي آخر.

في ذلك المساء، وبينما كنتُ مستغرقة في قراءة رسائل المتابعين، استوقفتني رسالة مختلفة، قصيرة جدًا لكنها ثقيلة جدًا:

"هل كل هذا حقيقي؟ هل يمكن للمرء أن يخرج حقًا من الظلام؟"

بدا الأمر وكأنه صوت مألوف، وكأنني أقرأ كلمات كنتُ سأكتبها لنفسي قبل سنوات. تجمدتُ في مكاني، شعرتُ بأن الحياة توقفت للحظة... كأن الزمن التفّ حولي وأعادني لنقطة كنتُ أظن أنني تركتها خلفي.

أغلقتُ الهاتف، نهضتُ ببطء، توجهتُ نحو النافذة، وسرحتُ في الأضواء المتناثرة في الشارع.

كل شيء كان كما هو... السيارات تمر، الناس يتجولون، الحياة تمضي بلا اكتراث، لكن داخلي كان هناك فراغٌ غريب، فراغ يشبه ما كنتُ أهرب منه طوال حياتي.

لماذا يحدث هذا؟ لماذا حين نظن أننا تجاوزنا مخاوفنا، تعود إلينا في لحظة غير متوقعة؟

عادت إليّ كل الذكريات دفعة واحدة، الليالي التي ظننتُ أنني لن أخرج منها، الأيام التي كنتُ أقاوم فيها دون أن أعرف لماذا. كان من المفترض أن أكون قوية الآن، كنتُ أظن أنني تجاوزتُ كل ذلك... لكن، هل فعلتُ حقًا؟

كانت الحياة تهمس لي بسؤال لم أكن مستعدة لسماعه:

"هل تؤمنين حقًا بما تقولينه للآخرين؟ هل لازلتِ قادرة على التمسك بالنور حتى لو عاد الظلام ليختبرك؟"

جلستُ على الأريكة، وضعتُ رأسي بين يديّ، وأخذتُ نفسًا عميقًا... لا، لن أدع هذه اللحظة تهزني. كنتُ أعلم أن الشكوك ستعود، أن الاختبارات لن تنتهي، لكن الفرق الوحيد هذه المرة هو أنني أملك الجواب.

عدتُ إلى هاتفي، كتبتُ الرد بعناية، لم أكن أواسي صاحب الرسالة فقط، بل كنتُ أخاطب ذاتي القديمة أيضًا:

"الحيـــاة ســـتتوقف أحيانًـــا، ســـتبدو فارغـــة وبـــلا معنـــى... ستشـــعر وكأنـــك عـــالق فـــي منتصـــف شـــيء لا تســـتطيع تفســـيره. ستســـأل نفســـك إن كـــان هنـــاك ضـــوء حقًـــا فـــي نهايـــة الطريـــق، وإن كنـــتَ قـــادرًا علـــى الوصـــول إليـــه. لكـــن صـــدقني... لا شـــيء يبقـــى علـــى حالـــه. حتـــى الجمـــود يتلاشـــى، حتـــى الليـــل لـــه نهايـــة. ربمـــا لا تصـــدقني الآن، لكننـــي كنـــتُ هنـــاك أيضًـــا، وهـــا أنـــا اليوم أكتب لك من الجانب الآخر."

ضـــغطتُ علـــى زر الإرســـال، وأغلقـــتُ الهـــاتف، نظـــرتُ مـــرة أخـــرى عبـــر النافـــذة، وابتسمتُ... لأنني أدركتُ شيئًا مهمًا:

تلـــك اللحظـــات التـــي يُخيـــل إلينـــا أننـــا عـــدنا إلـــى العـــدم، ليســـت ســـوى نـــداءً خفيًـــا يعيـــد

تشـــكيلنا مـــن جديـــد ولبدايـــة أقـــوى... لكـــن هـــذه المـــرة، بنـــبض أشـــد رســـوخًا، وفكـــرٍ يتـــوهج يقينًـــا، وروحٍ تعـــي أن كـــل انكســـار ما هو إلا تمهيدٌ لارتقاء أعظم.

الفصل الأخير

حديث آخر مع الحياة

كل شيء بدأ بحوار... لكنه لم يكن مجرد كلمات عابرة، بل كان رحلة، صوتًا خفيًا يرافقني كلما تعثرت، كلما تساءلتُ عن معنى ما أمر به. كنتُ أبحث عن إجابات، لكنني لم أدرك حينها أنني كنتُ أبحث عن نفسي.

عشتُ فصولًا كثيرة، بعضها كان مظلمًا حدّ الاختناق، وبعضها كان كضوء الفجر بعد ليلة طويلة من التيه.

تعلمتُ أن الحياة ليست عادلة دائمًا، لكنها تمنحنا هداياها بطرق لا نتوقعها. قد تأتي على هيئة ألم يعلمنا الصبر، أو خسارة تكشف لنا قيمة ما كنا نملكه، أو لقاء يعيد ترتيب أولوياتنا، أو حتى

سقوط يجعلنا ننهض بقوة لم نعهدها في أنفسنا من قبل.

وها أنا اليوم أقفُ هنا... أنظر خلفي، وأبتسم.

لا لأنني لم أعد أخاف، بل لأنني تعلمتُ كيف أواجه خوفي. لا لأن الحياة أصبحت سهلة، بل لأنني أصبحتُ أقوى.

لا لأنني وجدتُ كل الإجابات، بل لأنني لم أعد أخشى طرح الأسئلة.

الطريق لم ينتهِ، ولن ينتهي... لكنني أخيرًا أدركتُ شيئًا مهمًا:

الحياة ليست عدوًا، لكنها ليست حليفًا سهلًا أيضًا. إنها معلم صارم، لكنها تمنح دروسها لمن يصبر على فهمها. الحياة لم تكن ضدي أبدًا، بل كانت تدفعني

لأكـــون أقـــرب إلـــى نفســـي، إلـــى حقيقتـــي، إلى الله.

وإن كنـــتُ ســـأترك شـــيئًا أخيـــرًا لمـــن يقـــرأ هذه الكلمات... فسيكون هذا:

لا تستســـلم. حتـــى لـــو شـــعرتَ أن كـــل شـــيء ينهـــار، حتـــى لـــو فقـــدتَ الأمـــل، حتـــى لـــو بـــدت الحيـــاة بـــلا معنـــى... لا تستســـلم. لأنـــك ستصـــل، وســـتفهم، وستبتســـم يومًـــا كمـــا أفعل الآن.

وكلمـــا شـــعرتَ أنـــك تائـــهٌ مجـــددًا، فقـــط... تحـــدث مـــع الحيـــاة. ســـتفاجئك بإجاباتهـــا دائمًا.

لكـــن، تـــذكر دائمًـــا أن الـــربح الحقيقـــي فـــي هـــذه الحيـــاة لا يكـــون بجمـــع النجاحـــات، ولا بـــاعتلاء القمـــم، ولا حتـــى بتحقيـــق

الأحـــلام... بـــل يكـــون بالتمســـك بـــالله، بـــالتقرب منـــه، بـــاليقين بأنـــه وحـــده النـــور الـــذي لا ينطفـــئ، والملجـــأ الـــذي لا يخـــذلك أبدًا. فمن وجد الله، وجد كل ش

نصيحة أخيرة:

قبـــل أن تطـــوي هـــذه الصـــفحات، تـــذكر أن الحيـــاة ليســـت ســـباقًا للوصـــول، بـــل رحلـــة للفهـــم والنضـــج والاقتـــراب مـــن الله. لا تـــدع الأيـــام القاســـية تُفقـــدك إيمانـــك، ولا تســـمح للخيبـــات أن تجعلـــك تشـــك فـــي حكمـــة الأقدار.

كـــن لطيفًـــا مـــع نفســـك، صـــبورًا علـــى قـــدرك، ممتنًـــا لكـــل خطـــوة تقـــودك للأفضـــل. لا بـــأس إن تعثـــرت، لا بـــأس إن بكيـــت، لكـــن لا تبـــقَ حيـــث ســـقطت... انهـــض، وواصـــل، وكـــن

دائمًا على يقين بأن الله لا يضيع من لجأ إليه، ولا يخيب من وثق به.

وإذا شعرت يومًا أنك فقدت الطريق... فابحث عن الله، ستجد النور الذي تحتاجه دائمًا.

هذه لكم اعزائى:

يا من سلك دروب العتمة، وأرهقه التيه في أزقة الأيام، تمهل... واسمع همس الحياة. تلك التي حسبتها خصمًا عنيدًا، فإذا بها معلم خفي، تسكب في روحك دروسًا لا تُدرك حكمتها إلا بعد أن يعبر الحنين أعتاب الإدراك.

كم من جرح ظننته نصلًا غادرًا، فإذا به مشرط الحكمة، يستأصل من قلبك

الـوهن، وكـم مـن عثـرة أبكتـك ظلمـة، فـإذا بهـا بـابٌ أُغلـق ليقـودك إلـى ممـرٍ لـم يكـن ليخطـر ببالـك، حيـث النـور أبهـر، والطريـق أوسع.

الحيـاة ليسـت صـراعًا ننتصـر فيـه بكثـرة المكاسـب، ولا ميـدانًا نحصـد فيـه الألقـاب... بـل هـي رحلـة، مـن فهمهـا أدرك أن النجـاة ليسـت فـي السـعي المحمـوم، بـل فـي الطمأنينـة التـي يسـقيها اليقـين. فكـم مـن راكـض خلـف سـراب المجـد، فلمـا وصـل، وجـده خـالي الوفـاض، وكـم مـن صـابر علـى أقـداره، فلمـا فُتحـت لـه الأبـواب، أدرك أن كـل تـأخير كـان لحكمـة لـم يكـن ليراهـا لـو اسـتُجيب طلبـه حين دعاه.

يـــا أنـــت... لا تستســـلم إن ضـــاقت بـــك الـــدروب، ولا تحـــزن إن طالـــت بـــك الليـــالي المعتمـــة، فـــإن لكـــل روح فجـــرًا، ولكـــل قلـــبٍ نـــورًا، ولكـــل دربٍ نهايـــة تُبصـــر فيهـــا الحكمـــة جليـــة. ولا تغفـــل عـــن الســـر الأعظـــم... أن مـــن تمســـك بـــالله لـــم تضـــل خطـــاه، ومـــن جعلـــه وجهتـــه، فليطمـــئن، فقـــد ظفر بكل شيء.

فـــلا تبتـــئس، بـــل انهـــض، واصـــنع مـــن أيامـــك قصـــيدةً جديـــدة... عنوانهـــا: التفـــاؤل، وحب الحياة، واليقين بالله

وحـــدي فـــي ظـــلال التأمـــل، كانـــت الحيـــاة تنظـــر إلـــيّ بصـــمتٍ غـــامض، كأنهـــا تنتظـــر منـــي أن أفهمهـــا قبـــل أن تبـــوح بســـرّها. لـــم تكـــن الأيـــام التـــي عبرتُهـــا مجـــرد محطـــات

عـــابرة، بـــل دروسٌ تنحـــت القلـــب، وتعيـــد تشـــكيل الـــروح بطريقـــة لـــم أكـــن أدركهـــا إلا متـــأخرة. كـــل لحظـــة انكســـار، كانـــت فـــي الحقيقـــة لحظـــة بنـــاء، وكـــل دمعـــة كانـــت مـــاءً يســـقي بـــذور القـــوة التـــي لـــم أكـــن أعلـــم أننـــي أملكها.

فـــي الماضـــي، كنـــت أركـــض خلـــف الأمـــان، أبحـــث عنـــه فـــي الأمـــاكن الخاطئـــة، فـــي الوجـــوه التـــي خـــذلت، وفـــي الأحـــلام التـــي لـــم تكتمـــل. كنـــت أعتقـــد أن الســـعادة تكمـــن فـــي امـــتلاك كـــل شـــيء، حتـــى أدركـــت أنهـــا فـــي الرضـــا، فـــي القبـــول، فـــي التصـــالح مـــع تقلبات الحياة دون مقاومة مُنهكة.

لقـــد عشـــتُ لحظـــاتٍ ظننـــتُ فيهـــا أننـــي انتهيـــت، وأن الحيـــاة قـــد أغلقـــت أبوابهـــا فـــي

وجهي للأبد، لكنها لم تكن إلا بداية لفصلٍ جديد، لم يكن ليُكتب لو لم يأتِ ذاك الألم. رأيت كيف يفتح الله طريقًا حين تظن أن الطرق قد أُغلقت، كيف يُنبت زهرةً من بين صخور القسوة، وكيف أن الدروب التي خشيتُها قادتني إلى أماكن لم أكن لأحلم بها يومًا.

تعلمتُ أن أجمل الأشياء لا تأتي إلا بعد صبرٍ طويل، وأن الضوء لا يولد إلا من عمق العتمة. تعلمتُ أن الحياة ليست ضدّي، بل كانت تحاول أن تصقلني، أن تجعلني أنضج، أن تُعدّني لما هو أعظم مما كنت أتخيله. وأن الخيبات لم تكن إلا حراسًا يمنعونني من الدخول إلى أبواب لم تكن لي أصلًا.

اليوم، وأنا أنظر إلى الوراء، أبتسم لكل لحظة ظننتُ أنها النهاية، لأنها لم تكن إلا بداية لشيء أجمل. أبتسم لكل خيبة، لأنها قادتني إلى يقينٍ أعمق، وأحمد الله على كل حلمٍ تأخر، لأنه جاء في وقته المناسب، أقوى مما توقعت، وأجمل مما تصورت..... هذه تجربة شخصية أخذت مني سنينا لفهمها ...

وفي النهاية، سأتركك مع حكمةٍ نقشتها الأيام في أعماقي: "لا تسأل الله متى، بل اسأله كيف... كيف يكون قلبك عامرًا بالصبر، وكيف تكون روحك ممتلئة باليقين، فحينها، ستدرك أن الخير كان معك طوال الوقت، لكنك فقط لم تره بعد."

لعل حديثي مع الحياة لم يطوَ بعد،
فما زالت الأيام تهمس بأسرارها
وما زالت التجارب تنسج فصولها،
والدروس، كالأطياف، تترصد خطايا
تراقب نبضي، وتختبر يقيني،
فكل منعطفٍ يحمل في طياته همسًا،
وكل سقوطٍ يخفي خلفه ارتقاءً،
وكأن الحياة تهمس لي في صمت:
"مـــا زال فـــي رحلتـــك متســـع... فـــامضِ،
ولا تخف!"

الخاتمة:

وها أنا أضع القلم بعد رحلة لم تكن مجرد حروف على ورق، بل كانت نبضًا يتردد بين السطور، وصدىً لأحاديث خفيّة بيني وبين الحياة. كنتُ أظنها معركة، فإذا بها درس، وكنتُ أراها قاسية، فإذا بها تعدني للقادم، وكنتُ ألومها، حتى أدركت أنها لم تكن تجرحني إلا لتعلّمني كيف أداوي نفسي.

كم مرة تساءلتُ: لماذا أنا؟ لماذا كل هذا الألم؟ لماذا تتعثر خُطاي بينما يمضي الآخرون بخفّة؟ لكنني لم أكن أعلم أن لكل نفسٍ توقيتًا، ولكل حلم موعدًا، وأن الفصول التي نمر بها ليست عبثًا، بل

هي قطعٌ من الحكمة تُنسج لتكتمل الصورة في النهاية.

اليوم، وأنا أقف على ضفة أخرى، أنظر إلى الوراء بحبّ، لا لليالي الباكية، بل للنور الذي وُلد بعدها. لا للعثرات، بل للقوة التي استمددتها منها. لا للخيبات، بل للإيمان الذي اشتدّ في أعماقي كلما ظننت أنني فقدت كل شيء.

تعلمتُ أن الربح الحقيقي في هذه الحياة ليس في جمع المال، ولا في تحقيق الألقاب، بل في الطمأنينة التي تنبع من قلب مؤمن، واليقين الذي لا يتزعزع بأن الله وحده هو الملاذ، وهو العوض، وهو الحاضر في كل لحظة نبحث فيها عن معنى.

لهذا، أترك لك هذه الكلمات، أيها القارئ الذي ربما مرّ بما مررت به، أو ما زال يسير في طريق لم تتضح معالمه بعد.

إن ضاقت بك الأرض، فلا تيأس، وإن تعثرت، فلا تستسلم، وإن ظننت أن الحياة تسرق منك كل شيء، فتمسك بالله، ستجد أن ما أخذته كان مجرد أوهام، وأن ما أبقته هو أثمن مما كنت تحلم به.

وثق دائمًا... أن الحياة لا تأخذ إلا لتُعطي، ولا تُنهي شيئًا إلا لتفتح بابًا آخر، ولا تُرهق قلبك إلا لتطهره مما لا يستحق أن يسكنه.

فابتسم، واستمر، وتذكر دائمًا: كل شيء سيمضي، لكن الله... دائمٌ لا يزول.

كلمة شكر وتقدير:

إلى كل من كان نورًا في دربي، إلى الذين مدّوا لي يد العون بكلمة، بدعوة، أو حتى بصمتهم المطمئن... شكرًا لكم.

هذا الكتاب ليس مجرد حروف، بل هو انعكاس لكل لحظة دعم وجدتها في رحلتي. إلى عائلتي، أصدقائي، وكل قارئ وجد في كلماتي صدى لروحه، أقول: أنتم جزء من هذا الحلم، فشكرًا لأنكم كنتم هنا.

نبذة عن المؤلف:

نـــورأ ، كاتبـــة تـــؤمن بـــأن الحـــروف حيـــاة أخـــرى تُكتـــب، وأن الكلمـــات قـــادرة علـــى إضـــاءة العتمـــة. تكتـــب بروحهـــا قبـــل قلمهـــا، وتسعى لأن تترك أثرًا طيبًا في القلوب.

اقتباسات مختارة من الكتاب:

- "في كفّ القدر، لا شيء يضيع، بل كل شيء يأخذ وقته ليُزهر في موعده."
- "الحياة ليست صديقة سهلة، لكنها معلّمة عظيمة."
- "كل سقوط هو خطوة نحو النهوض بشكل أقوى."

للتواصل:

إذا لامـــس هـــذا الكتـــاب قلبـــك، وأردتَ أن تشـــارك رأيـــك أو تتواصـــل معـــي، يمكنـــكَ إيجادي عبر:

(na8150963@gmail.com)